

الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية

في العصر العباسي

للكاتبة م. م. م. م. م.

قسم التاريخ - كلية البنات - جامعة بغداد

اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بصناعة الغناء والموسيقى . ولم تكن هذه الصناعة جديدة عليهم ، فالعرب في الجاهلية كان لديهم غناء بسيط يسمى بالخداء ثم اشتق منه الغناء المعروف ، ويقول المسعودي « لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب »^(١) . وظهر من الغنّين المشهورين في العصر الإسلامي الأول ابن محرز وابن سريع ومعبد والفريض وغيرهم^(٢) .

وفي العصور العباسية تطورت صناعة الغناء والموسيقى تطوراً كبيراً . وبلغت ذروة الكمال^(٣) عند ظهور الغنّين كإبراهيم وإسحاق وغارن وابن بانة وابن جامع وعلوية . هذا وقد شاركت المرأة الرجل في هذا الميدان ، وبرزت بعض الجوارى المغنيات كمرب جارية المأمون وشارية وبدعة وشاجية وغيرهن كثيرات .

ولا بد من وجود دوافع وأسباب أدت إلى تطور هذه الصناعة تطوراً بعيداً لدى جميع طبقات المجتمع حتى العامة^(٤) . ونلخص من هذه الأسباب :

١ - التأثير بالفرس ثم بالروم الذين أصبحوا موالى للعرب المسلمين بعد الفتوحات ؛ فغنّوا بالميدان والطنابير والمعارف والمزامير ، وسمع العرب تلحينهم فلعنوا عليهم الأشعار^(٥) . هذا فضلاً عن كثرة الجوارى اللواتي أخذن كسباً في الحرب . وأغلبن من الفارسيات والروميات اللواتي حملن البعض منهن ثقافتهن الأصلية ثم تنقطن على أيدي

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٦٠

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢ ص ٢٦٨

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠

(٤) ابن طيفور : بغداد ص ١٥١ ؛ التوحيدى : الأمتاع والحواكسة ص ١٧١-١٧٣

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠

التخامين ، فبرزن في الأدب والشعر التناء وأقيمت الأذواق ليمهن ، حتى بلغ سعر البعض أربعة عشر ألف دينار^(١) وربما أكثر ، ولعب بعضهم دوراً كبيراً في قصور الخلفاء والأمراء ، كما فطمت عريب التي جمعت بين الأدب والتناء . وهناك البعض ممن برزن في اللعب على الآلات الموسيقية ، واشتهرت عبيدة^(٢) الطنبورية التي جمعت بين الأدب والشعر والموسيقى ، وقد ذكرها جعظلة في كتاب «الطنبورين والطنبوريات» ؛ ومنهم من اتصفن بحسن السلوك والأدب والتصرف مع التناء . ذكر ابن طيفور أن جارية أهداها عبد الله بن طاهر إلى المأمون فلما دخلت عليه قال لها : غني بإجارية فغنت وهي قائمة ، فقال لها : لم غنيت وأنت قائمة وما منعك من الجلوس ؟ فقالت ياسيدي أمرتني أن أغني ولم تأمرني أن أجلس فغنيت بأمرك وكرهت سوء الأدب في الجلوس بغير إذنك . فوهب لها مالا واستحسن ذلك منها^(٣) .

أما شاحية التي عرفت بحبها للتغناء والموسيقى فقبل أن المعتضد سألها يوماً عند حضورها في دار الخلافة « هل رأيت شيئاً لم تر مثله عندنا فاستحسنته ؟ » فقالت « لا والله إلا عوداً من عود »^(٤) وهي التي شهد لها المعنى جعظلة بقوله : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يعد عينه بشيء يستحسنه سوى عود^(٥) . وغيرهن كثيرات .

هذا ، وللمغنين دور كبير في تطور التناء والموسيقى ، بعضهم من أصل أجنبي نقلوا الثقافات القديمة وأضافوا إليها ثقافة العرب ، فبرزوا ليس كغنيين فقط بل كأدباء وشعراء - بل حتى فقهاء - مع التناء والموسيقى . فهذا إبراهيم الموصلي^(٦) الفارسي الأصل كان بارعاً في صناعة التناء والموسيقى ، حتى أن ثلاثين جارية ضربن جميعاً طريقة واحدة وغنين في الأوتار وترآ غير مستو ، فأخذ يشير إلى إحداهن قائلاً : يا فلانة شدي مثناك ؛ فتشده وتستوى الأوتار^(٧) .

(١) الصوى : الأفران من ١٠١

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ج ١٩ ص ١٣٢

(٣) طيفور ، بغداد ص ٩١

(٤) الشاشي ، الديارات ص ٨

(٥) التنوخي ، نشوار المحاضرة ج ١ ص ٦٣ ، ٦٤

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ج ٥ ص ١٧٠ وما بعدها

(٧) تاريخ العرب مطبوع من ٥٠١ - ٥٠٤ ج ٢

وهكذا كان ابن إسحاق الوصلى له مقدرة وتفهم للفناء والموسيقى كأيّيه ، ذكر أن يوماً في مجلس المأمون جلست عشرة على عشرين المأمون وعشرة جوارى عن يساره وممن العبدان يضرّبن بها ، وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً ، فبدأن بالفناء والضرب ؛ فوجد إسحاق هناك خطأ من الناحية اليسرى ؛ فأنكره إبراهيم وأكد عليه إسحاق ، وظهر صحة قوله وتعيينه للخطأ ؛ فشهد له المأمون ببراعة في هذه الصنعة وتفوقه على إبراهيم بن المهدي ؛ إذ قال لإبراهيم « لا أمار إسحاق بعدها أن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين و ثراً وعشرين حلماً لجديد الأغارية » (١) ، ويقول الأبيشبي إن إسحاق كان يصنع الألحان العجيبة . ووصف خرداذبة للمعتمد خصائص المغنى بقوله : « قد تمكن من أنفاسه ولطف في اختلاسه وتفرغ في أجناسه » (٢) .

وكان لاهتمام الخلفاء بالفناء أثره في ارتفاع منزلة المغنين والفناء في المجتمع ، فالاهتمام بالمغنين كان منذ العهد الأموي حتى قيل أن الوليد هو أول من جلب المغنين من البلدان إليه (٣) . وهكذا فعل الرشيد الذي فاق جميع الخلفاء في تقديره للمغنين - بالإضافة إلى العطاءات والهدايا - وجعلهم مراتب وطبقات (٤) : أولها إبراهيم وإسحاق وابن جامع وزلز وغيرهم ، وآخرها أصحاب المازف والونج والطنابير . وعلى قدر ذلك تخرج جوائزهم (٥) . وإذا أظهر أحدهم براعة رفع إلى المنزلة العليا . وهكذا فعل برصوما الزامر وهو من الطبقة الثانية عندما طلب منه أن يزمر لفناء ابن جامع فرفض وقال : لا زمر فإن كنت أزمر على الطبقة العالية رفعت إليها ، فإما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمر على الأولى فلا أفعل . فطلب الرشيد من صاحب الستارة أن يرفعه إلى المرتبة الأولى (٦) . وماذا نقول في تقدير خليفة المغنين حيث يذهب بنفسه إلى دار المغنى ، كما فعل الرشيد عندما ذهب يوماً مع أربعمائة خادم أبيض إلى دار المغنى إبراهيم (٧) .

(١) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢٨٥

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٠

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧١

(٤) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ١١٦

(٥) الجاحظ ، التاج ص ٣٩

(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١

(٧) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢١٨

وهذا المأمون الذي اشتهر عصره بالعلم والمعرفة في جميع النواحي ، كان لا يتردد في السماح لإسحاق المغني أن يدخل عليه بزى الفقراء وهو سائر بجانب قاضى القضاة أحمد بن داود ، مما أثار الدهشة عند الناس والحسد لدى مخارق وعلوية^(١) . هذا ، وطلب إليه أيضاً أن يدخل مع أهل العلم والأدب والرواة لأمع المغنين ، فإذا أرادته للثناء غنى^(٢) . وسأل المأمون يوماً أن يحضر الصلاة مع الفقهاء في المقصورة يوم الجمعة ، فأجابه المأمون « ولا كل ذا بإسحاق ، وقد اشتريت هذه المسألة بـ ١٨٠ ألف درهم »^(٣) . وهكذا فعل الواثق مع المغنين . قيل كان يحضر إسحاق إلى مجلسه بدون عود ، فإذا طلب منه الثناء أعطى له عود^(٤) . وكذلك الراضى^(٥) والمقتدر وغيرهم . أما الخلفاء القادر والظاهر والمهتدى الذي طرد المغنين وحرم الثناء ومنع الملاهى وقبضها عليهم من الرجال والنساء والحرائر والأبناء وكسر آلات الطرب وأمر ببيع الجوارى على أنهم سواذج ... إلى آخره .

وهناك سبب آخر هو تفهم وإطلاع ومعرفة بعض الخلفاء لفن الغناء ، واهتمامهم الشديد بدراسته وتطوره ، وعلى رأسهم الواثق والمعتمد . فالأول له معرفة عميقة بالأهازيج والألحان والأصوات^(٦) ، وكان يأمر المغنين بغناء ما يخرجهم من الأصوات ويهتم بالتلحين إلى درجة المقارنة بينه وبين إسحاق ، ويشهد له المؤرخون ، فقال السيوطى « وكان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء وله أصوات وألحان بلغت حوالى المائة »^(٧) .

أما المعتمد - كما يذكر عنه المسعودى^(٨) - فكان شغوفاً بالطرب وبفن الغناء والموسيقى ، وكان ملازماً لابن خرداذبة الكاتب المعروف فى الغناء والموسيقى ، إذ

(١) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢٧٦

(٢) و (٣) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢١٥

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢٨٦

(٥) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦١ ، قيل كان لا ينصرف عن مجلسه مغنى أو مغنية إلا ويدفع لهم بصلة أو كسرة قلت أم كثرت كما كان يفعل أبو العباس .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٣٣٥

(٧) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٦

(٨) المسعودى ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٦

دخل عليه يوماً وفي مجلسه عدد من الندماء فسأله المعتصم عن أنواع الطرب ، فقال على ثلاثة أوجه ؛ ضرب محرك ينعش النفس وضرب شعبن وحزن ؛ وضرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس ... إلى آخره .

أما آلات الطرب فتكون من الزمار ، الناي^(١) ، الرباب^(٢) ، العود^(٣) ، الطنبور^(٤) ، الرق^(٥) ، الطبل^(٦) ، العزفة^(٧) ، السكلارينيت^(٨) ، السرناي^(٩) ، الجنبك^(١٠) ، الونج^(١١) إلى آخره .

ف قيل ناي^(١٢) زناي إختاره زنام ، وأول من ضرب في هذه الآلة في عهد المعتصم عاصي الرشيد والمعتصم والواقع والمعتز . أما العود فقد عرف عند العرب وهو من الآلات الوترية ، ووصفه الشعراء بقولهم كثيراً في شعرهم^(١٣) وضرب عليه العرب كثيراً ، ويعتبر من الآلات المرغوبة ؛ أخذ من الفرس ، واستطاع زلزل أن يحدث الضرب على العود بعيدان الشنايط ، وكانت قبلاً على عمل عيدان الفرس ، فجاءت عجبياً من المعجب^(١٤) ووصف الخوارزمي العود وصفاً دقيقاً وكيفية الضرب عليه^(١٥) .

أما الطنبور فيعتبر من الآلات الموسيقية المشهورة والمهمة عند العباسيين ، وصمى أحياناً من يدق عليه باسمه كعبدة الطنبورية ، واشتهر بالضرب عليه سليمان

(١) الشابشتي ، الديارات ص ٧١

(٢) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٩٣

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥١

(٤) ابن الجوزي ، الأذكياء ص ٧٠

(٥) الشيرازي ، المسبة ص ١٠٩

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨

(٧) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(٨) و (٩) الشابشتي ، الديارات ص ٧٢

(١٠) و (١١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١٢) البجرتي ، الآداب السلطانية ص ٣٢٠

(١٣) الشابشتي ، الديارات ص ١٦٨

(١٤) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢٠٢

(١٥) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ — ١٣٨

الطبال^(١) وابن القصار في مجلس^(٢) المعز، وكلاهما من القرنين في القرن الثالث الهجري . وأشهر أنواع الطنبور الميزان البغدادي الطويل^(٣) . وفي المسمودي وصف شامل للآلات الوترية كآلة المربع والمستطيل والدورة ، إلى آخره^(٤) . أما الطبل فيقول المسمودي أنه أخذ من الفرس^(٥) . والرباب وهو ما يجيء حتى يجيء صوته ولا يضرب ، عرفت عند الفرس . والقثارة واللوزا وغيرها أخذت من الهنود^(٦) . وهناك تشابه ما بين المزمار^(٧) والكلارنيت^(٨) ، وهو آلة ينفخ فيها كالزمار، وصنعها أحمد بن موسى المهندس ، وعند التصغير يرسل منها الماء فيسمع لها متكونة من عدة دفوف يسمح لها صوت كالجلجل^(٩) ، وهناك آلات كثيرة أخرى كالشهرود^(١٠) اخترعت في القرن الثالث الهجري (اخترعها حكيم بن أحوص السفدي) وآلة بوران التي سميت الآلة^(١١) باممها وغيرها من الآلات .

(١) الشاشتي ، الديارات ص ٩٩ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ج ٢ ص ٢٨ - ٣١

(٢) الشاشتي ، الديارات ص ١٠٧

(٣) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(٤) المسمودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٥) المسمودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨

(٦) ابن الجوزي ، المدهش ص ٢٣٢

(٧) الرشيد ، الموشى ص ١٩١

(٨) الشاشتي ، الديارات ص ٧٢

(٩) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١٠) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١١) سيد أمير علي ، ص ٣٩١

المجالس الاجتماعية في العصر العباسي

١ — المجالس الغذائية :

أقيمت بالدرجة الأولى في قصور الخلفاء وأصحاب المراتب العالية ، واشتهرت هذه في العصر العباسي ، خاصة في عهد الرشيد والمتوكل والمقتدر والواثق . واهقد مثل هذه المجالس مناسبات عديدة ، منها أنها أقيمت في أول يوم الخلافة ، إذ يدخل المثقفون على الخليفة الجديد ويغنون له أبيات شعرية تمجد الخليفة الجديد ، وقيل إن إبراهيم الموصلي أول من غنى للرشيد في اليوم الأول ؛ قال (١) :

إذا ظلم البلاد وتجلتسا منها ردت الإمام لها ضياء
بها ردت استقام الصراع فينا وغاض الفجور وانفسح الرجاء

أو أن تقام لمجرد التسلية والإيناس والاستماع للأناء والموسيقى ، خصوصاً في عهد هارون (٢) والواثق والمتوكل والمعتز ، فيكثر فيها الشراب ويشترك الندماء والجواري . وذكر أن الواثق أقام مجلسين متتاليين في يوم واحد ، وأقامها أيضاً في يومين متتاليين (٣) .

أو لإزالة الشعور بالانتقاض ، وإزالة حالة الغضب والهياج ، كما فعل المنتصر يوماً ، إذ دعى بينان بن الحرث العواد وكان مطرباً عبيداً فأحضره فعناه .

لقد طال عهدي بالإمام محمد . وما كنت أخشى أن يطول به عهدي (٤)

أو قد تقام في مناسبات الأعياد ، خصوصاً النوروز والمهرجان . أمر الرازي في

(١) الأصفهاني ، أغاني ج ٥ ص ٢٠٣

(٢) كان الرشيد يجمع المغنيين والموسيقين دائماً للتسلية فجمع يوماً إبراهيم وزلزل وبرصوما فكونوا جوقاً موسيقياً ، المغني والزمار والضارب « أغاني ج ٥ ص ٢٤١ » ؛ النويري ، نهاية الأرب ج ٥ ص ٢١٤ — ٢١٥ ، مجلس الرشيد الذي حضرته ألني جارية في أحسن زى .

(٣) الشافعي ، الديارات ص ١٠٧

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٧٨

ليلة عيد المهرجان بإحضار الجلساء ، وقعد في مجلس التاج على دجلة ، وأجاز في ذلك اليوم من الندماء والمغنين والملمهين بالدنانير والدرهم والخلع وأنواع الطيب ، فلم يكن أحسن منه فرحاً^(١) .

وتقام أيضاً في أعياد المسيحيين ، إذ يشترك المسلمون في تلك المناسبات - حتى الخلفاء - فالمأمون جلس في يوم الشعائين ، وبين يديه عشرون وصيفة راميات ، تخرجن بالديباج الرومي وعلقن في أعناقهم صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والزيتون ، وغنى إبراهيم

طلباء كالدنانير ملاح في المقاصير
جلاهن الشعائين علينا في الزنانير

ورقصت الجوارى أنواع الرقص والمأمون في حالة سكر ، ثم أعطى المغنى ألف دينار ووزع على الجوارى ثلاثة آلاف دينار^(٢) .

وتقام في مناسبة ختان الأولاد ، واشتهرت حفلة ختان عبد الله المعتز ابن المتوكل ، حضر المجلس أربعمائة بليه ، أى راقصة ، عليهن أنواع الثياب ، وحملن في أيديهن أنواع الزهور والرياحين والزرجس والفواكه ، ونثرت على الرؤوس ، وحضر المجلس المغنون والموسيقيون أمثال عمرو بن بانة وابن المكي وسليمان الطبال وصالح الدقاق ، وغيرهم كثير^(٣) .

هذا ، وقد تجرئ فيها مناظرات ومناقشات تدور حول صناعة الغناء والموسيقى وتاريخهما وتطورهما ، وكذلك عن الرقص واتحكيم بين الغنين والموسيقيين^(٤) .

وأحياناً تقام حفلات موسيقية فقط خاصة تسمى (بزيات الخاتون) يشترك فيها مائة عازف^(٥) .

أما طريقة الجلوس بالنسبة إلى الخلفاء العباسيين فمنهم من لم يظهر أمام الندماء

(١) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦٢

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ج ١٩ ص ١٣٨

(٣) الشافعي ، الديارات ص ٩٩

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧

(٥) سيد أمير طي ، الحضارة ص ٣٨٧

والمغنين ويستمتع إليهم من خلف الستارة^(١) ، كما فعل أبو جعفر للنصور . ومنهم من اختفى^(٢) ، ثم ظهر ، كالمهدي والهادي والرشيد . أما للآمون فقد امتنع عن إقامة مجالس غنائية لمدة سنتين ثم ظهر أمام المغنين^(٣) . ومنهم من اهتم بها اهتماماً كبيراً إلى درجة انشغاله بها ليالى متتالية لحبه للطرب ، كالواتق^(٤) والرشيد^(٥) وغيرهم .

أما الجلوس في المجلس فيكون بدرجات ، فالمتقدمة فيها للعلماء وأهل الأدب والرواة ، ثم تأتي طبقة الندماء ثم للمغنين . وقد طلب إسحاق يوماً من الآمون الجلوس مع أهل العلم والأدب بدون غناء ، وإذا غنى يتقدم ويجلس مع المغنين ثم يرجع مرة أخرى . وحق المغنين فقد رتبهم الرشيد بمراتب وصنوف مختلفة ، تبعاً لمقدرتهم الغنائية والموسيقية^(٦) . وأما المجالس التي تمحضر فيها المغنيات ، فتفصل بينهن وبين الخليفة أو الرجال ستارة ، ويقف شخص يشرف على إدارة حفلة الغناء يسمى بصاحب الستارة^(٧) عليه أن ينفذ ما يطلبه الخليفة من المغنيات . قيل أحضرت شارية في مجلس المعتز^(٨) لتغني ، وجلست خلف الستارة ، وأخذت تناقش الرجال في الغناء^(٩) . وقد وصف المؤرخون الستارة بأنها مطرزة بالذهب^(١٠) ومن خلفها الجارية تغني .

والظاهر أن هناك بعض الجلسات ، جلس الخلفاء فيها مع المغنيات بدون ستارة . ذكر أن للآمون جلس يوماً وعن يساره تسعة مغنيات وعن يمينه تسعة مغنيات أيضاً ؛ وطلب منهن أن يغنين ، وطلب من إسحاق وإبراهيم أن يحكما بينهن^(١١) وأكثر من ذلك أن المقتدر كان يجلس مع الجوارى خلف الستارة التي تفصله عن المغنين

(١) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣

(٢) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣ ؛ ابن طيفور ، بغداد ص ١٧٩

(٣) الجاحظ : التاج ص ٣٣

(٤) الشاشقي ، الديارات ص ١٥٧

(٥) أغاني ، ج ٥ ص ١٦٦ إخراج إبراهيم من السجن لإحياء حفلة غنائية فقط .

(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١

(٧) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣

(٨) الشاشقي ، الديارات ص ٧٩

(٩) الشاشقي ، الديارات ص ٧١

(١٠) البيهقي ، المحاسن والأضداد ص ٤٠١

(١١) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ص ١٠٥

واللوسيقين ، فإذا أراد شيئاً أرسل شخصاً يطلب منهم الغناء . وبين يدي كل منى كأس فيه خمسة أرطال من النبيذ وقدر ومغسل وكوز ماء . وقد تغنى الجوارى أيضاً^(١).

وكما كانت المجالس الغنائية تعقد في قصور الخلفاء ، كانت تعقد أيضاً في بيوت الأشراف والوزراء . وقد لاقتل أبهة وروعة وبذخاً وإسرافاً عن سابقتها ، وبحضرها حتى القضاة الذين قد يطرحون الحشمة ليلائم رجعون إلى وقارهم . ومن بينهم أشهر القضاة كالأبن مترجة وابن معروف والقاضى التنوخى المعروف . قيل ، حضروا في مجلس الوزير المهلبى الغنائى واتعمسوا بالطرب ونسوا الوقار إلى درجة وضع كل منهم لحيته في شراب من قطر بل أو مكبراً بكأس من الذهب من ألف مثقال ، ثم يشرب أكثره ويرش بعضهم على بعض ، ويرقصون وعليهم المضيفات إلى آخره ، وقال الشاعر في ذلك .

مجالس ترقص القضاة بها	إذا انتشوا حلوة في مخانق الدم
وصاحب يخطط المحبون لنا	بشيعة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً	أمل مثل حمرة العلم
حتى تخال العيون شيبته	شبية فصلان ضرجت بدم ^(٢)

وعرف أبو الحسن على بن محمد بن الفرات بأبهة الحفلات الغنائية التي كانت تقام في داره ، ففي إحدى الحفلات أحضر المغنيات خلف الستارة ، ومن بينهم الجارية بدعة فغنت وضربت على العود ، فاستحسن أبو الحسن ما أنت به .

فطرب وقال شعراً :

إذا بدعة جردت عودها	فذلك في ضربها كل شعب ^(٣)
تغنى — تغنى ثمار القلوب	وتهدى سروراً إلى كل قلبى

(١) الأسفهانى ، الأغاني ج ٥ ص ٢٢٢

(٢) الثمالى ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٣٧

(٣) الصابى ، الوزراء ص ٢١٤ — ٢١٥

٢ — مجالس القصص :

مجالس القصص نوعان : عامة وخاصة ، فالعامة يجتمع فيها نفر من الناس للقاص ويعظهم ويذكرهم . وأما الخاصة فقد أوجدها معاوية ، يقف القاص بعد صلاة الصبح ويذكر الله ويدعو للخليفة^(١) . وهذه المجالس تمقد على شكل حلقات^(٢) في المساجد^(٣) ، ثم أخذت تمقد في الطرقات^(٤) والأسواق^(٥) والمقابر^(٦) . فالإسلام لم يمنع القصص من القيام بمهمتهم بل شجعهم وذكرهم^(٧) بالحسنى في القرآن ، قال تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص »^(٨) ، وقال « فأقص القصص لهم يتذكرون »^(٩) وغيرها من الآيات ، كما أن الرسول الأعظم (ص) ذكرهم وامتدحهم^(١٠) . وهذه الآيات دلت على أن القصص لم تكن وليدة الإسلام ، بل كانت قبل ذلك عند العرب ، ولكنها أصبحت عند ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري عبارة عن قصص دينية^(١١) تهدف إلى معرفة الخالق والتسلك بالأخلاق إلى غير ذلك من الحسنات . واختلف المسلمون في تعيين زمن ظهور مجالس القصص ، فمنهم من قال في عهد عمر بن الخطاب ، والمقرئ قال^(١٢) في عهد معاوية ؛ وربما كانت في عهد عثمان . ولكن معاوية أحدث القصص الخاصة ومنع القصص العامة وسمح برواية القصص الخاصة ؛ وفيها يجالس القاص بعد صلاة الصبح يدعو للخليفة ولأهل

(١) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٠٣

(٢) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١١٤

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٢٣

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٢٢ ؛ الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٨

(٥) الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٦

(٦) ابن الجوزي ، تلبس إبليس ص ١٢٢

(٧) ابن الجوزي ، تلبس إبليس ص ١٢٠

(٨) القرآن الكريم ، سورة يوسف آية ٣

(٩) القرآن الكريم ، سورة الأعراف آية ١٧٦

(١٠) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٤١

(١١) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

(١٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥٣

(١٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١

ولايته ولحاشيته إلى آخره^(١) ، بعد الدعاء للنبي (ص) . فالقاص مهنته إلقاء الآيات والأحاديث وأخبار السلف^(٢) والحكايات^(٣) على الناس . والظاهر أنه في القرن الأول الهجري - حتى منتصف الثاني - لا يمكن التمييز بوضوح بين الواعظ والقاص ، فأطلق على القصاص إسم الوعاظ المتطوعين^(٤) لأن كلا المهنتين كانت تخدم المجتمع خلقياً ودينياً ، لذا لم يتعرض أحد للقصاص خصوصاً العلماء الذين رضوا عنهم لأنهم كانوا يثبون روح الزهد بين العامة . ومنهم إبراهيم التيمي^(٥) القصاص ، كان قاضياً كقاض مكة الذي كان يروى عن الصحابة مثل ابن هريرة ، ومنهم الخطباء المثقفون كأبي بكر الهندي ومعطوف^(٦) ومنهم البلغاء العظماء من قراء القرآن القائم بالتدريس ، ومنهم العلماء العارفون بلغات أجنبية بجانب العربية كابن سيار الأسراري^(٧) . حكى أنه كان يترجم من اللغة العربية العظمى إلى الفارسية العظمى وبالعكس بطلاقة ، أثناء وعظه ، وهكذا كان غيرهم . ولكن لم تستمر هذه الحالة ، إذ جاء بعد هؤلاء العلماء طبقة من القصاصين قليلي المعرفة حتى عن الأنبياء والمرسلين^(٨) غايتهم الكسب والتسليّة واللعب بقول العامة^(٩) ، وقد ظهوروا في القرن الثالث حيث أخذت الروح الدينية^(١٠) والأخلاقية تختفي من مجالسهم تدريجياً ، حتى جاء القرن الرابع ، وإذا بالقصاص ينزلون إلى غمار العامة ، وصاروا يقصّون لهم القصص الدينية الخرافية والأساطير والنوادر في المساجد والطرقات ، وكان يجتمع إليهم رجال ونساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويدون أيديهم لأخذ الأموال^(١١) .

هذا الانحراف يرجع إلى تدهور شخصية القاص من جميع الوجوه ، وإلى مستوى

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١

(٢) السبكي ، معيد النعم ص ١١٣

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٨ ص ١٦١

(٤) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٠٣

(٥) ابن الجوزي ، صفة الصفرة ج ٢ ص ٩ - ٥٠

(٦ و ٧) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧

(٨) الثعالبي ، بتيمة الدهر ج ٣ ص ٥٢

(٩) ابن الجوزي ، تلبيس ص ١٢١ .

(١٠) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧ .

(١١) المكي ، قوت القلوب ج ١ ص ١٤٩ .

عقلية العامة . فالقصص الكذابون انتشروا في العراق في القرن الثاني الهجري ، ومنه انتقلوا إلى آسيا الصغرى والحجاز^(١) وهؤلاء استغلوا جهل العامة من جهة وعجتهم لهم من جهة ثانية ، إذ قيل أن العامة كانت تدافع عن القاص حتى لو كان غير لائق بهذا المنصب . حكى أن عثمان الوران قال : رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق يباب الشام فقلت له : ويحك أما تستحي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قلت : فاصبر حتى أعلمك بأنهم بقر . فقام ، فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غير واحد أن من بلغ لسانه أرنبه أنفه لن يدخل النار . فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبه أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا . فلما تفرقوا ، قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر^(٢) ؟

وهناك قصص كثيرة وحوادث تدل على دفاع ومحبة العامة للقصص ورغبتهم في الحضور لمجالسهم أينما عقدت .

هذا ، ومن القصص من اتصف بفساد الأخلاق كأبي كعب القاص^(٣) وأبي سالم الذي قلع باب المسجد يوماً لأن باب داره سرقها اللصوص ، وعندما قالوا له : ماتصنع ؟ قال : أقلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم من قلع بابي^(٤) ومنهم من يذكر بدءاً^(٥) وأخباراً كاذبة لا علاقة لها بالدين ، ومنهم من ينوح على الموتى ويصف ما يجري لهم من البلاء والخراب إلى آخره ، أو قد ينشد أشعاراً غزلية ويقول حبة الله ، أو قد يحرك يديه ويصفق بها ويحرك رجليه ويضرب بها الأرض إلى آخره من حركات الجسم التي يريد بها أن يجذب إليه أنظار العامة ومن ضمنهم النساء ، كما يقول ابن الجوزي^(٦) . أو قد يفسر بعض الكلمات تفسيراً غير صحيح لقلة معرفته باللغة العربية أو لكونه عجيباً . قيل سؤل أحد القصص عمن تسميه العصفور ، فأجاب : لأنه عصي وفر !

(١) آدم ميز : الحضارة ج ١ ص ١٢٨

(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ١٣ ص ١١٤

(٣) الماحظ : الحيوان ج ٣ ص ٢٤ — ٢٥

(٤) ابن الجوزي : الحق والمفلقين ص ١٢٥

(٥) الفزالي : إحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١

(٦) تلبس إبليس ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

وقيل له : فالطفشيل ، قال : لأنه طفا وشال^(١) وحكى عن مدى جهالة العامة والقص أيضاً أن أحدهم وقف يوماً وهو يقول : إذا مات العبد وهو سكران وحشر وهو سكران ، فقال رجل في طرف الحلقة لآخر : هذا والله نبذ جيد يساوى الكوز منه عشرين درهماً^(٢).

هذا ، وقد اقتبست القصص الإسلامية من القصص الهندية كسكيلة ودمنة^(٣) طريقة التحدث عن أسنة الطيور والحيوانات ، ومن القصص الفارسية كآلف ليلة^(٤) وليلة الحوادث الخيالية البعيدة عن الدين ، فألف سهل بن هارون^(٥) وعلى العتابي على لسان الحيوانات ، وقام الجهشينارى أيضاً بكتابة ألف سحر وسحر^(٦) ، ولكنه توفي ولم ينته الكتاب ؛ بالإضافة إلى دخول العقائد وآراء الأديان القديمة^(٧) إلى مجلس القصص . ولعب الوراقون أيضاً دوراً كبيراً في دفع القصص إلى الانحراف ، فأخذوا يصنفون ويؤلفون القصص الخيالية ، كما فعل ابن المطار وابن دنان^(٨) ، واستمرت القصة ومجالس القصص في التدهور في القرن الرابع وحتى القرن الخامس ، حيث شاع انتشار الحكايات والأسمار وكثر عدد المستمعين لمجالسهم من الرجال والنساء على السواء^(٩).

وقد اتخذوا بالإضافة إلى ما ذكرناه طرقاً أخرى لكسب المال ، فنجد أحد القصص يقف بطرف الطريق يقص عن فضائل على ، وآخر يقف في الطرف الثاني يقص عن

(١) الحموى ، معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٣

(٢) ابن الجوزى ، أخبار الطراف ص ٩٠

(٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٧

(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٦) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٥٦

(٨) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٩) القفطى ، تاريخ الحكماء ص ٣٣١

(١٠) ابن الجوزى ، تليس ١٢٢

فضائل أبي بكر؛ والناس تدفع لهم النقود^(١) كل حسب ميوله، فلا يفوتهما درهم. وأوقد يتفقون مع أحد الأشخاص أن يجلس مجلسهم ويسمى بالسكوز، فيأمر القاص أصحابه بأعطائه النقود، ثم إذا تفرقوا تقاموا ما أعطوه^(٢). هذا ومن جراء ما وصلت إليه مجالس القصاص وقف في وجههم الخلفاء، وأصحاب السلطة من جهة، والعلماء من جهة أخرى. فمن جراء إثارتهم للفتن، وكسبهم الأموال بدون استحقاق منهم بعض الخلفاء من الجلوس في المجلس وإلقاء القصة للناس. وقد حدث هذا في سنة ٢٤٨^(٣)، إذا أمر المعتضد بفتح القصاص من الجلوس في الساجد والطرقات، بعد حصول الفتنة بين السنة والشيعة. وفي سنة ٣٦٧^(٤) أيضاً منع عضد الدولة القصاصين من الظهور وأعتبرهم آفة المجتمع الذي تعرض للعروب الأهلية للذهبية وإلى الجوع والمرض والمهلك. وكذلك في سنة ٤٠٨^(٥) أمر القادر بضرب القصاص واندفع في محاربة المذهب الشيعي من جراء موقف القصاص. وفي كتب التاريخ حوادث كثيرة من هذا القبيل خلال العصور العباسية المتأخرة على الأخص.

أما العلماء، فقد وقفوا لهم بالمرصاد وحاربوهم بقدر ما يمكنهم، ولو أن القصاص كانوا هم السيطرون على المجتمع في القرون الثالث والرابع والخامس. فمن هؤلاء السعدوي الذي وصفهم بالكذابين^(٦)، ووصفهم الحمداي بالشعوذين، وغيرهم كالبيروني والقدسي والسيوطي وابن الجوزي، وغيرهم.

أما من علماء الدين فهؤلاء كانت لهم الأفضلية والأسبقية في الوقوف في وجه القصاص، فيذكر أن مالك بن أنس منهم من دخل مسجد المدينة^(٧). وأحمد بن حنبل بعد أن كان يعجدهم بقوله «ما أحوج الناس إلى قاص»^(٨)، انقلب عليهم لانحطاط

(١) الثعالي، بتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٦

(٢) الثعالي، بتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٢

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٨٢

(٤) ابن الجوزي، المنتظم ج ٣ ص ٨٨

(٥) المذهب، العبر ص ٦٥ — ٦٦

(٦) مروج الذهب ج ٥ ص ٨٦ الطبعة الأوربية

(٧) آدم متر، الحضارة ج ٢ ص ١٤١

(٨) ابن الجوزي، تلبس ص ١٢٢

مستواهم الأدبي والخلق والاجتماعي». وكذلك المحدث المشهور الدارقطني ، وغيرهم من علماء الدين .

وبالرغم من تقرب وحببة العامة لهم ، إلا أن هناك جماعات لم تعمل المستوى المنخفض للقصاص . حتى أن رجلاً جاء إلى قاص وهو يقر ألا يجرحه ولا يسيئه (١) فقال له : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويستسيغه . وكان الناس أيضاً يكفرونهم وينسبونهم إلى الخوارج (٢) .

٣ — مجالس الوعظ :

كانت لمجالس الوعظ أهمية كبيرة في المصور الإسلامية الأولى (القرنين الأول والثاني) حيث يقوم الواعظ مقام للدرس ، ويحضر حلقة في مجلسه عامة الناس بدون تمييز ، يأخذ على عاتقه تثقيف الناحية الثقافية الدينية ، يشرح لهم الفرائع ، ويحجب على جميع الأسئلة ؛ وأطلق على بعضهم عندئذ الأساطين (٣) لأنهم يفتنون الناس في أساطين المسجد . وهناك دوافع لاستمرار مجالس الوعظ وهي شعور الناس بالروح الدينية التي لازالت عميقة في نفوسهم وكون الواعظ نفسه فقيهاً عالماً (٤) زاهداً ولاستمراره على التمسك بغايته الأساسية في الوعظ ، ألا وهي بث روح الإسلام وإرشاد العامة إلى الطريق الديني السليم (٥) .

وهناك نوع ثان من مجالس الوعظ وهو مجالس الوعظ الخاصة وهي على قسمين وعظ مخصص ، وهذا قد يتم بين الفرد والواعظ كما فعل كثير من الخلفاء (٦) إذ يسألون الواعظ أن يظلمهم . ووعظ يتم بين الواعظ ونفر من الطلاب ويسمون بأهل الزوايا (٧) لأنهم يتخذون مكاناً منزوياً في المسجد ، أي في إحدى زواياه . وهذه

(١) ابن الجوزي ، الحقي والمنفليين ص ١٢٥

(٢) آدم مئز ، الحضارة ج ٢ ص ١٠١

(٣) المسكي : قوت القلوب ج ٢ ص ١١

(٤) ابن الجوزي ، تلبس ص ١٠٢

(٥) اليهين : الهاسن والمساوي ج ٣٣٨ ص ٣٤٤

(٦) الماحظ : الهاسن والأضداد ص ١١٣

(٧) المسكي : قوت القلوب ج ٢ ص ١١

الحلقات علمية غايتها تعليم الطلبة أمور الشرع (١) . ولكن هذه المجالس إنحرفت بتطور المجتمع العباسي ، خصوصاً في القرنين الثالث والرابع ، إذ تعرض لمجالسهم الجهال من الموم والنساء كما يقول ابن الجوزى (٢) فتركوا العلم واهتموا بالكسب المادى ، فتنوعت عندهم البدع والخرافات ، فمنهم ينزل فى وعظه إلى مستوى (٣) واطيء من حيث المعرفة واللغة ، وقد يكون أعجمياً تنقصه البلاغة . حكى أن الأمين العلوى حضر مجلس واعظ أعجمى ، فمدحه الواعظ ثم قال : أى شىء أقول فىك وأنت من بيت الطهارة ثم قال : الدعاء فى الخلوة ربما دخله نفاق ، وأنا أدعوك فى الخلوة . قال : فقال لى الأمير ما يرصا من بيت الماء (٤) .

هذا ، ومنهم من خلع ثياب الزهد البسيطة والمرقعة ولبس الثياب الفاخرة الثمينة ففقتن الناس به ويكون له جماعة ، كمحمد بن أحمد الواعظ الشيرازى (٥) . وكذلك بن ميمون الواعظ (٦) المعروف الذى عرف بلبسه أحسن الثياب وبأكله لأطيب الطعام (٧) . ومنهم من أخذ بالوعظ خارج المساجد فى مقابر رجال الدين — كمقبرة أحمد بن حنبل — يعقد فيها مجالس للوعظ ، ومقبرة الشيخ معروف (٨) ومنهم من يعقد مجلسه فى الأماكن الشعبية كمحلة (كباب البصرة والحربية) وغيرها من الأماكن السكينة (٩) .

والمفروض فى الواعظ أن يكون عنصراً صالحاً للمجتمع ، فلا يشير الفتن والإضطرابات ولا يستغل كآلة بيد أصحاب السلطة ، كما حصل فى القرنين الثالث والرابع ، إذ أصبحوا كالتقصاص عاملاً مشيراً للفتن المذهبية بين السنة (١٠) والشيعة وبين

-
- (١) آدم متر : الحضارة ج ٢ ص ١٠٦
 - (٢) ابن الجوزى : تلبس ص ١٢٠ — ١٢١
 - (٣) الفزالى : لإحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١
 - (٤) ابن الجوزى : الحقى والمغفلين ص ١٢٦
 - (٥) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ صفحة ١٣٤
 - (٦) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٧ صفحة ١٩٨
 - (٧) آدم متر ، الحضارة ، ج ٢ صفحة ١١٢
 - (٨) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٩ صفحة ٨٩
 - (٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ صفحة ٣٠
 - (١٠) أبو الفدا ، ج ٢ صفحة ٨٢

مذاهب السنة كالحنبلية ، والشافعية ، إذ استغلت الوعاظ هذه المذاهب في النهج على المذاهب (١) الأخرى . فمن الحوادث المهمة سنة ٣١٨ (٢) حدوث الفتنة الكبرى بين الحنابلة والعامة حول تفسير قوله تعالى : « عسى أن ييمتك ربك مقاماً محموداً » فقالت الحنابلة معناها يقعد الله على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة . وكذلك حادثة الاسفراييني (٣) والأكتاني اللذين كادا أن يقتلا . وكذلك في حوادث سنة ٤٦٩ (٤) و ٣٥٢ (٥) ، وغيرها ...

ومن الحكم من يقف بجانب أحد المذاهب ؛ فيطلب من واعظ المذهب أن ينشر ويعلن عن طريق وعظه ما يمكنه الحاكم ، فيكون الواعظ خير عامل للدعاية بيد السلطة . وحوادث سنة ٤٠٨ (٦) خير دليل على ذلك ، إذ طلب الخليفة القادر بالله ضرب الشيعة ومنع القصاص ، فاستعمل الوعاظ في ذلك . وتكرر هذا عند حدوث الفتنة بينهما والراض (٧) في موقفه ضد الحنابلة ومعاقبة لهم عن طريق الوعاظ . وحادثة سنة ٣٥٤ في عهد بنى بويه عندما طلبوا من الوعاظ الاحتفال بيوم عاشوراء ولعن معاوية (٨) وفي إقامة الاحتفال بعيد الغدير (٩) سنة ٣٨٩ ، وأقام السنة العيد يوم طار حراء وغيرها من الحوادث . .

هذا ، ومن الوعاظ من له القابلية والمقدرة على مسaire السلطة (الخليفة) بمقدرته على الوعظ البليغ ، كما عرف ابن سمعون الواعظ المشهور الذي استطاع أن يجعل الخليفة الطائع في حالة بكاء عندما أرسل عليه ليؤنبه لتعرضه على الأمام طي ، فشر ابن سمعون بذلك وانقلب في وعظه مدح علياً وما زال يعظ حتى أبكى الطائع (١٠) . وهكذا استطاع أن يتخلص من عقوبة عضد الدولة عندما استمر في

(١) أبو الفدا ، ج ٢ صفحة ٧٤ . السيوطي تاريخ الخلفاء صفحة ١٥٤

(٢) الذهبي ، العبر ، ج ٣ صفحة ٦٥

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ صفحة ٨٨

(٤، ٥) الذهبي العبر ، ج ٣ صفحة ٩٨

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ صفحة ٢٤٨

(٧، ٨) الثعالبي ، ثمار القلوب صفحة ١١١

(٩) القرطبي ، المحطوط ج ٢ صفحة ٢٢٢

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ صفحة ١٩٩

التحدث والجلوس في المسجد ، ولم يأمر لأمير النع للقصاص من المساجد^(١) .

ومن الوعاظ من ابتدأ بقراءة شعر في مجلسه بدل الآيات .. حكى في أبي زكريا يحيى بن معاذ الرازي^(٢) الواعظ المشهور أنه ابتدأ بشعر عندما صعد على المنبر وقال :

مواظ الواعظ لن تقبلا	حق يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم على واعظ	خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه	وبارز الرحمن لما خلا ^(٣)

هذا ، وفي عهد إنحراف الوعاظ إزداد عدد النساء^(٤) في المساجد . ومن الوعاظ من لم يضع حائلا^(٥) بينهم وبين الرجال . ويؤكد الغزالي على منعهم من الحضور إذا أدى ذلك إلى الفتنة^(٦) . ومن الوعاظ من يترين للنساء ، ويشكك مستعمل حركات وإشارات كثيرة مع كثرة الإشعار ، فتحضر النساء مجلس هذا الواعظ ، ويؤدي إلى إنحرافها ، فعلى الواعظ أن يظهر بمظهر الورع والهيبة والسكينة والوقار ، وزيه زى الصالحين^(٧) .

ومن الوعاظ من يعتقد أن في التخويف والتعنيف والشدة في القول عبرة للمستمع ، قيل إن أحد الوعاظ حضر للأموّن لوعظه فأستعمل العنف في القول ، فقال له الأمون : يا رجل أرفق فقد بث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق متمثلا بقوله تعالى (فقولوا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)^(٨) .

ومن الوعاظ من يستغل مجلسه فيثير الفتنة بالتشجيع على واعظ آخر منافس له ، لذلك كانت السلطة تراقبهم ، وتناقش من يسوء منهم التصرف ، وقد تمنعه من الوعظ أو تطرده خارج البلاد ، أو قد تصدر مرسوماً يوقع عليه القضاة الفقهاء بعد توقيع

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧ صفحة ٢٠٠

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، صفحة الصفوة ، ج ٤ صفحة ٧١

(٣) منظر الحضارة ، ج ٢ صفحة ١١٥

(٤) ابن الجوزي ، تلبس ، صفحة ١٢٠

(٥) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١ . ابن الجوزي ، تلبس ، صفحة ١٢١

(٦) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١

(٨) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٢٩

الخليفة ، ويوزع على الوعاظ لتلاوته في حلقائهم ، وذلك عندما تحدث منازعات
مذهبية فتندشط بعض المناصر لبحث آرائها بين الناس . هذا ولا ننسى دور العامة في
إستمعار الوعاظ في إنحرافهم ، حيث يتحمسون ويقفون إلى جانبهم ، ويدافعون
عنهم لأنهم يغذون خيال العامة ويشاطرون المكدين والشعراء في ذلك ، حتى قيل
أصبحت صناعة الوعاظ (أعلى مرتبه من ساسان)^(١) .

(١) متر : الحضارة ، ج ٢ صفحة ١١١ .